﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: 15]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا ذكر اللّٰهُ تعالى الأمرَ بالعبادة وإقامة الصّلاة، ذكرَ الحاملَ على ذلك، وهو البعث والمَعاد للجزاء، فقال: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ وهي التي يظهر عندها ما عمله الإنسانُ وجزاءُ ذلك إمَّا ثوابًا وإمَّا عقابًا[1]؛ لأنّها وقتُ الإثابة ووقتُ المُجازاة[2]، فجملة: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ تعليل لما قبلَها من الأمر، أي: إنّ الساعة التي هي وقت الحساب والعقاب آتية، فاعمل الخير من عبادة اللّٰه والصّلاة[3].

وقـوع السَّاعة حـتـمٌ، فـمن يعـمل مثقال ذرة خـيرًا يـره، ومـن يـعـمل مثقال ذرة شرًّا يره

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: جزء من أجزاء الزّمان، يُعبَّر بها عن القيامة[4]، قال اللّٰه تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: 1]، و﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف: 187]، و﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الزّخرف: 85] تشبيهًا بذلك لسرعة حسابه[5]، وسمّيت - أيضًا - بذلك لأنّها تفجأ النّاس في ساعة، فيموت الخلقُ كلّهم بصيحة واحدة، قال اللّٰهُ تعالى: ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [يس: 29][6].

2) ﴿أَكَادُ﴾: كاد وضعت لمقاربة الشّيء[7]، قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾؛ أي: أريد أخفيها[8].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 318.
(2) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 21.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 424.
(4) الجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات: (سوع).
(5) الرّاغب، المفردات: (سوع).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (سوع).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (كود)، والرّاغب، المفردات: (كيد).
(8) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (كود).

3) ﴿تَسۡعَىٰ﴾: السَّعْيُ: المَشْيُ السَّريع، ويُستَعْمَل للجِدِّ في الأمر، خيرًا كان أو شرًّا[1]، وأكثر ما يُستعمَل السَّعيُ في الأفعال المحمودة[2]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ﴾، فمعناه: تمشي وتنتقل بسرعة[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إنّ الساعة التي يبعث اللّٰهُ فيها الخلائقَ من قبورهم لموقف القيامة جائيَةٌ[4] من غير تعيين لزمانها، أكاد ألَّا أُنبّئ أحدًا عنها، وألَّا يقع في حساب النَّاس أنّها آتية، حتّى يعملَ كلٌّ بما في طبيعته، وحتّى يُجْزَى كلٌّ بما هو أهل له إذا جاء يوم الحساب، على غير حساب أو انتظار من النَّاس[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علَّة فصل قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ عن سابقه:

فـــي الإعـــلام بمجيء السَّاعة تحذير ووعيد

جملة ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ مستأنَفَة لابتداء إعلامٍ بأصلٍ ثانٍ من أصول الدّين بعد أصل التَّوحيد، وهو: إثبات الجزاء[6]، أو هو استئنافٌ بيانيٌّ ناشئ عن سؤال مترتِّب على قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾، فكأنَّ سائلًا سأل عن السَّبب، فكان الجواب: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾، فهو تعليلٌ لوجوب العبادة وإقامةِ الصَّلاة[7]، حيثُ علَّل الأمر بالعبادة بأنَّه لم يَخلقِ الخَلْقَ سُدى، بل لا بدَّ من إماتتهم، ثمَّ بعثهم لإظهار العظمة ونصب

(1) الرَّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفَّاظ، والزّبيديّ، تاج العروس: (سعو).
(2) الرَّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفَّاظ، وابن منظور، لسان العرب: (سعو).
(3) البغويّ، معالم التّنزيل: 5/ 269، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 361، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 279.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 285.
(5) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 8/ 786.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 201.
(7) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 8، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 485.

موازين العدل، فقال مؤكِّدًا لإنكارهم، ومعبِّرًا بما يدلُّ على سهولة ذلك عليه جدًّا: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾؛ أي: لاريب في إتيانها، فهي أعظم باعث على الطَّاعة[1]، ففيه تحذير ووعيد؛ أي: اعبدني فإنَّ عقابي وثوابي بالمرصاد[2].

سرُّ التَّعبير عن القيامة بـ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ دون غيرها:

السَّاعة: علَمٌ بالغلبة على ساعة القيامة أو ساعة الحساب[3]، فهي اسم لوقتٍ تقوم فيه القيامة، سُمّي بها لأنَّها ساعةٌ حقيقةٍ يحدث فيها أمرٌ عظيم[4]؛ إذ هي ساعة، أو لحظة تهدم النِّظام الكونيَّ الحاليَّ، وتأتي بغتة في ساعة، والسَّاعة جزء منَ الزَّمان، من قبيل إطلاق الجزء على الكلِّ[5]، وفي التعبير بها دلالة على سرعة إتيانها وقرب وقوعها، وهو ملائم للسّياق بعدَها، المُعَبّر عن قُربها ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾.

السَّاعة آخِر أجزاء الزَّمان، والنَّاس مِن بعدها فريقان، إمَّا مُكْرَم أو مُهان

معنى (اللَّام) ودلالتها في ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾:

تُفيد (اللَّام) في ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ معنى العهد الذِّهني، فإنَّها ممَّا يعرفه النَّاسُ منَ النُّبوَّات السَّابقة، وهي كذلك ممَّا لا يخفى علمُه على الكليم عليه السلام.

السَّاعة معهودة لا تخفى على بصير، فكيف برسول نذير

دلالة التَّعبير بقوله: ﴿ءَاتِيَةٌ﴾ من حيثُ مادَّتُها وصيغتها:

الإتيان: مجيء بسهولة، ويقال للمجيء بالذَّات وبالأمر وبالتَّدبير، ويقال في الخير وفي الشَّرِّ، وفي الأعيان والأعراض[6]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾؛ أي: كائنةٌ لا محالة، وإنما عُبِّر عن ذلك بالإتيان تحقيقًا لحصولها؛ بإبرازها في معرِض أمرٍ محقَّقٍ

القيامة سهم قدِ انطلق من قوسه نحو نحور العباد يوشك أن يستقرَّ فيها

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 277.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 39.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 201.
(4) البروسويّ، روح البيان: 5/ 371.
(5) الهلال، الثريّ الجامع: 7/ 66.
(6) الرَّاغب، المفردات: (أتى).

متوجِّهٍ نحو المخاطَبين[1]، وفي التَّعبير باسم الفاعل ﴿ءَاتِيَةٌ﴾ بدلًا منَ المضارع (ستأتي) تأكيدٌ لإتيانها، وهي ﴿ءَاتِيَةٌ﴾؛ أي: ليس مأتيًّا بها، مع أنَّ الحق ﷻ هو الذي سيأتي بها، لكنَّ هذا على سبيل الجزم بها، فكأنَّها من فرط تيقُّن وقوعها ومجيئها قد أتت بالفعل[2].

بلاغة توالي المؤكِّدات في قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾:

السَّاعة لا محالة آتية، ولا تزال قلوب العباد عنها لاهية

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ جملة من المؤكِّدات، ومنها: الحرف النَّاسخ ﴿إِنَّ﴾ الدَّالُّ على التَّأكيد، والقائمُ مقامَ تكرير الجملة، والتَّعبير باسم الفاعل: ﴿ءَاتِيَةٌ﴾ الدَّالِّ على التَّحقُّق، والتَّعبير بالجملة الاسميَّة الدَّالَّةِ على الثُّبوت.

ووجود هذه المؤكِّدات إنَّما هو للمبالغة في تأكيد أمر السَّاعة، وأنَّها آتية وكائنة لا محالة، وهذا مستفاد من التَّأكيد بـ﴿إِنَّ﴾ والجملة الاسميَّة[3]، وفي هذا تنزيل لغير الشَّاكِّ منزلةَ الشَّاكِّ؛ ليَصلُح توجيهُ الكلام له ولغيره.

توجيه المتشابه اللَّفظيّ بين آيتي: غافر، وطه:

ليس توجيهُ الخطاب للمؤمن المطمئنّ المُقرّ، كتوجيهه للكافر المكابر المستنكر

بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [غافر: 59] تشابهٌ لفظيّ، ولسائل أن يسأل عن سرِّ تخصيص آية [طه: 15] بقوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾، ووصفها في سورة [غافر: 59] بقوله سبحانه: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾، وله أن يسأل كذلك عن سرِّ دخول لام التَّوكيد على كلمة (آتِيَةٌ) في سورة غافر، وعدم دخولها في سورة طه، فهذان سؤالان.

والجواب: هو أنّ الآية (59) في سورة غافر جاءت في سياق الحديث عن منكري البعث والحساب، الذين يجادلون في آيات الله،

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 8، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 485.
(2) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 15/ 9244.
(3) الشّهاب، حاشية على البيضاويّ: 6/ 193.

فكان منَ المناسب تأكيدُ الكلام بأكثر من مُؤكِّد، كونه موجَّهًا لمخاطَبين منكرين، فجاء التَّوكيد بـ(إنَّ)، واللَّام المزحلقة في ﴿لَآتِيَةٌ﴾، والوصف المزيل للشَّك: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾، فهذه ثلاثة مؤكِّدات.

أمَّا آية سورة طه (15) فقد كان فيها الخطاب موجَّهًا للكليم الكريم موسى عليه السلام، المؤمنِ المُخبتِ المصطفى، فلذلك لم يؤكَّد الكلامُ لا باللَّام، ولا بالوصف: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [غافر: 59]، بل اكتُفي فيه بالتَّوكيد بـ(إنَّ)[1].

وأمَّا الجواب عن سرِّ تخصيص آية [طه: 15] بوصف السَّاعة: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾، فهو أنَّ الخطاب في سورة طه كان لتأنيس النَّبيِّ ﷺ، وتسليته عن حال كفَّار قريش في توقُّفِهم عن الإيمان، ثمَّ عرَّف نبيَّه ﷺ بابتداء أمر موسى عليه السلام، إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾، ولمَّا كان هذا الخطاب والتَّعريف للنّبيّ ﷺ المُنزَّه عن الارتياب في أمر السَّاعة، لم يحتج إلى نفي الرَّيب، إذِ المقام النَّبويُّ في الإيمانِ بها لا يدانَى، فلم يكن نفي الارتياب ليلائم ولا يناسب.

أمَّا آية غافر، في أكثر الخطاب المتقدِّم قبلها، من أوَّل السّورة إليها، فهو خطابٌ لقريش وسائر كفَّار العرب، وهم المجادلون في أمر السَّاعة، فقدَّم لهم قبل ذكر الآيات قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: 57]، فذُكِّروا بما لا يمكن لأحد منَ المخلوقين إلَّا الاعترافُ بعظيم أمره والعجز عنه، وهو بدخول اللَّام ونفي الرَّيب في ذلك، وذلك أوضح شيء في المناسبة، فكلٌّ منَ الآيتين وارد على أتمِّ مناسبة، ولا يمكن أن يقع الوارد في سورة غافر في سورة طه، ولا الوارد في سورة طه في سورة غافر[2].

أوثِـــر الـفـصـل بين الجملتين؛ لما بينهما من تـــوسُّـــط بـيـنَ الكمالَيْن

علَّة فصل قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ عن سابقه:

وقع قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ موقع الخبر للحرف النَّاسخ،

(1) زكريا الأنصاريّ، فتح الرّحمن: 1/ 361، والهلال، الدّريّ الجامع: 7/ 66 - 67.
(2) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 2/ 335 - 336.

فهي جملة فعليَّة في محلِّ رفع خبر ثانٍ لـ﴿إِنَّ﴾[1]، ويجوز أن تكون اعتراضيَّة لا محلَّ لها من الإعراب[2]، فبين هذه الجملة الكريمة وما قبلها توسُّط بين كمال الاتِّصال وكمال الانقطاع، مع قيام المانع منَ الوصل؛ إذ إنَّ النَّظم لو كان (آتية وأكاد أخفيها) لربَّما توُهِّم أنَّ جملة (وأكاد أخفيها) صفة للسَّاعة الآتية وليس إخبارًا عنها.

دلالة التَّعبير بالمضارع في قوله: ﴿أَكَادُ﴾:

إعـلام العباد بمجيء السَّاعة مع إخفاء وقت وقوعها مصلحة لهم

جيء بالمضارع للدّلالة على دوام الأمر، فـ﴿أَكَادُ﴾ هنا على بابها بمعنى أنَّها مقاربةٌ ما لم يقع، لكنَّ الكلام جارٍ على استعارة العرب ومجازها، فلمَّا كانت الآية تعبيرًا عن شدَّة خفاء أمر القيامة ووقتها، وكان القطع بإتيانها مع جهل الوقت أهيَبَ على النُّفوس، بولغ في إبهام وقتها فقال تعالى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾؛ حتَّى لا تظهر البتَّة، ولكنَّ ذلك لا يقع، ولا بدَّ من ظهورها[3].

وذُكر أنّ ذلك على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشَّيء يقولون: كتمت سرَّك من نفسي، أي: أخفيته غاية الإخفاء، والله عزَّ اسمُه لا يخفى عليه شيء[4]، لكن لمَّا خاطب تعالى العربَ بما تعرف وتستعمل فيما بينَها منَ المخاطبات - وقد كان الرَّجُل منهم إذا بالغ في الخبر على إخفاء شيء هو له مُسِرٌّ قال: كدت أخفيه من نفسي - لمَّا كان الأمر كذلك خوطبوا على أبلغ ما يعقلون[5]، والمعنى في إخفائها: التَّهويل والتَّخويف؛ لأنَّهم إذا لم يعلموا متى تقوم السَّاعة، كانوا على حذر منها كلَّ وقت[6]، فمَن لم يعلم متى يهجم عليه عدوُّه كان أشدَّ حذرًا[7].

(1) محمود صافي، الجدول: 8/ 353.
(2) بهجت صالح، الإعراب المفصّل: 7/ 82.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 40، والثّعالبيّ، الجواهر الحسان: 4/ 47.
(4) البغويّ، معالم التّنزيل: 5/ 267.
(5) مكّيّ، الهداية الى بلوغ النّهاية: 7/ 4623.
(6) البغويّ، معالم التّنزيل: 5/ 268.
(7) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 3/ 154.

معنى اللَّام ودلالتها في قوله: ﴿لِتُجْزَىٰ﴾:

اللَّام في قوله تعالى: ﴿لِتُجْزَىٰ﴾ هي لام (كي)[1]، وهي متعلِّقة بـ﴿ءَاتِيَةٌ﴾، وهكذا يترتَّب الوعيد[2]، فقد بيَّن الله تعالى سبب الإتيان بها بقوله: ﴿لِتُجْزَىٰ﴾؛ أي: بأيسر أمر وأنفذه[3]، وهذا تعليمٌ بحكمة جعلِ يومٍ للجزاء[4]، وبيان العلل خطاب إقناع.

لولا وجود الجزاء لفعل مَن شاء ما يشاء

دلالة التَّعبير بـ﴿لِتُجْزَىٰ﴾ من حيثُ مادَّتُه وصيغته:

قوله تعالى: ﴿لِتُجْزَىٰ﴾ فيه غاية التَّرغيب للمؤمنين بأن ينالوا مكافأة عملهم بفضل من الله تعالى ورحمة، وفيه أيضًا نهاية التَّرهيب للكافرين من أن ينالوا جزاء أفعالهم وفاقًا، وبناء الفعل ﴿لِتُجْزَىٰ﴾ لما لم يُسَمَّ فاعله للعلم بالفاعل، لأنَّ المجازي هو الله ﷻ، وفي هذا البناء ضرب من الإيجاز البليغ.

في إقامة الجزاء ترغيب لمَن اهتدى، وترهيب لمَن حسِب أنَّه خُلِق سدى

دلالة التَّعبير بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾:

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾؛ يعني: من النُّفوس السَّاعية، بقرينةِ قوله: ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾، إذ السَّعيُ كنايةٌ عن الكسب[5]، فهذا عامٌّ مخصوص بالقرينة[6]، وفي الإضافة إلى النّفس بيانُ أنّها الدَّاعية للعمل، وأنّ الجوارح منقادة إليها.

لا يكلِّف الله نفسًا إلَّا ما آتاها

الغرض من تنكير ﴿نَفْسٍ﴾:

جاءت كلمة ﴿نَفْسٍ﴾ نكرةً في قوله تعالى: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ لإفادة العموم والشُّمول، غير أنَّه مخصوص بالقرينة، فلا جزاءَ إلَّا لمكلَّف، وخروجُه مخرجَ العموم للمبالغة في أنَّه لن يغادر الجزاءُ

لا يغادر الجزاء نفسًا، فيعمُّ المكلَّفين جِنًّا وإنسًا

(1) السّمين، الدّرّ المصون: 8/ 22.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 40.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 278.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 202.
(5) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 6/ 421.
(6) ابن عرفة، تفسير القرآن: 3/ 141.

نفسًا منفوسة، أو أنَّه على الحقيقة وأنَّ مَن رُفِع عنه القلم من أبناء الكافرين وذرّيَّتهم سيُمتحَنون يوم القيامة، كما وردت بذلك الأحاديث[1].

معنى الباء ودلالتها في قوله: ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾:

الجزاء مُسبَّب عن السَّعي ومقابِلٌ له، وكلُّ نفس بجزائها مقرونةٌ ومصحوبة

(الباء) في قوله تعالى: ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾ للمقابلة؛ أي: مقابل ما تسعى، أو تُجزَى بذات ما تسعى، وذلك لمساواة السَّعي مع الجزاء، فكأنَّه هو هو[2]، وقيل: الباء للسَّببيَّة[3]، وقيل: للإلصاق[4]، ولا تعارض بينها؛ فإنَّ الجزاء مسبَّبٌ عنِ السَّعي، فهو مقابِلٌ له أجرًا وثوابًا، أو تنكيلًا وعقابًا، فكلُّ نفس قدِ التصقت بجزائها، والتصق جزاؤها بها.

معنى ﴿بِمَا﴾ ودلالتها في قوله: ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾:

لا تزر وازرة وزر أخرى، ولو كانت خليلةً أو ذاتَ قُربى

قوله تعالى: ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾ متعلِّق بـ ﴿لِتُجْزَىٰ﴾، و﴿بِمَا﴾ يجوز أن تكون مصدريَّةً، أو موصولةً اسميَّة، ولا بدَّ من مضاف؛ أي: تُجزى بعقاب سعيها، أو بعقاب ما سعته[5]، فعلى تأويلها بالمصدريَّة دلالةٌ على العموم؛ أي: تُجزى بعموم العمل ثوابًا أو عقابًا، وعلى تأويلها بالموصوليَّة دلالةٌ على الخصوص؛ أي: تُجْزى بكلِّ عملٍ جزاءً مستقلًّا، ولا تَزِر وازرةٌ وِزْرَ أُخرى.

بلاغة المجاز المرسل في قوله: ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾:

طوبى لمَن أجهد نفسه سعيًا فراضَها، ليُبنَى لها في الجنَّة نزلها

معنى قوله تعالى: ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾: بما تعمل، فإطلاق السَّعي على العمل مجازٌ مرسل[6].

والسَّعي - وإن كان ظاهرًا في الأفعال - فهو هنا يعمُّ الأفعالَ

(1) ابن القيّم، حاشية على سنن أبي داود: 12/ 323.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4711.
(3) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 4/ 523.
(4) الهلال، الثّريّ الجامع: 7/ 68.
(5) السّمين، الدّرّ المصون: 8/ 22.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 202.

والتُّروك، للقطع بأنَّ تارك ما يجب عليه معاقَب بتركه مأخوذٌ به[1]، ولكنَّ تخصيصَه في معرِض الغاية لإتيان السَّاعة، مع أنَّه لجزاء كلِّ نفس بما صدر عنها سواءٌ كان سعيًا فيما ذُكر، أو تقاعدًا عنه بالمرَّة، أو سعيًا في تحصيل ما يُضادُّه؛ للإيذانِ بأنَّ المرادَ بالذَّاتِ من إتيان السَّاعة هو الإثابةُ بالعبادة، وأمَّا العقابُ بتركها فمِن مُقتَضَيات سوءِ اختيارِ العصاة، وبأنَّ المأمورَ به في قوَّة الوجوبِ، والسَّاعةَ في شدَّة الهول والفظاعة، بحيثُ يوجِبان على كلِّ نفسٍ أن تسعى في الامتثال بالأمر، وتَجِدَّ في تحصيل ما ينجّيها منَ الطَّاعات، وحينَئِذٍ تحترز عنِ اقتراف ما يُرديها منَ المعاصي[2].

دلالة العدول عن الفعل الماضي إلى المضارع:

يشمل الجزاء كلَّ عمل ابنِ آدم من لَدُن جريان القلم عليه إلى أن تفارقه التي بين جنبيه

كان ظاهر النَّظم أن يقال: (لتُجزى كلُّ نفس بما سعت)، غير أنَّ النَّظم القرآنيَّ البليغ البديع عدل عن الماضي إلى المضارع فقال: ﴿تَسۡعَىٰ﴾؛ للدّلالة على معانٍ لا يؤدّيها الماضي، منها: أنَّ التَّعبير بالمضارع يفيد الاستمراريَّة، وهذا يجعل صورة النَّفس وهي تعمل صورة حيَّة، فكأنَّنا نراها الآن وهي تعمل، وفي أعماقنا يتردَّد صدى هذا النِّداء القرآنيِّ الخالد، فنعلم أنَّها مجزيَّة بهذا العمل لا محالة، ومنها: أنَّ الجزاء الحسن منه ما يكون معجَّلًا في الدُّنيا، منَ الهداية والتَّوفيق والرِّزق الحَسن، كما تشهد به آيات عديدةٌ في القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمد: 17]، وقولِه سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: 96]، وغير ذلك منَ الآيات، كما أنَّ الجزاء بالعقوبة منه ما يكون معجَّلًا في الدُّنيا، منَ الأخذ الشَّديد، كقوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ الآية [العنكبوت: 40]، وقولِه

(1) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 425.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 8.

سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ﴾ [سبأ: 17]، وغير ذلك منَ الآيات، فالجزاء المعجَّل يناسبه التَّعبير بالمضارع لا الماضي.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإتيان والمجيء:

المَجيء أعمُّ منَ الإتيان

الفرق بينهما أنَّ المجيءَ أعمُّ منَ الإتيان؛ لأنَّ الإتيان مجيء بسهولة، ومنه قيل للسّيل المارّ على وجهه: أَتيّ[1]، وكلُّ مَسيل سُهِّل لماءٍ أَتيّ[2]، ويُستعمل المَجيء لما فيه صعوبة ومشقّة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [المؤمنون: 27]، وقال ﷻ: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [ق: 19]، وقال ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣﴾ [عبس: 33]، وهذا كلُّه ممَّا فيه صعوبةٌ ومشقَّةٌ على النَّاس[3]، كما أنّ الإتيان يستخدم في سياق الأمور السّهلة والميسورة، أو التي لم تحدُث بعدُ[4]، وقد يكون باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، أمَّا المجيء فيُقال باعتبار الحصول[5].

الإخفاء والإسرار:

الإخـــفـــاء هـو السّتر في الأمور الماديّة وغيرها، والإسـرار خلاف الإعلان

الخاء والفاء والياء أصلان متباينان متضادَّان؛ فالأوّل: السَّتر، والثَّاني الإظهار، يقال: خفي الشيءُ يخفى، وأخفيتُه، وهو في خفية وخفاء، إذا سترته، وخفا البرق خفوًا، إذا لمع، ويكون ذلك في أدنى ضعف، ويقال: خفيت الشّيء، إذا أظهرتُه[6]، ويكون الإخفاء في الأمور الماديّة وغيرها[7]، والإسرار: خِلاف الإعلان[8]، وهو كتمُ الشّيء كأنَّه جُعِل في الجوف بعمق[9].

(1) الرَّاغب، المفردات: (جيء)، و(أتي).
(2) الأزهريّ، التّهذيب، والجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (أتي).
(3) السَّامرائيّ، لمسات بيانيّة، محاضرات، ص: 75، 76، والهلال، تفسير القرآن الثّريّ: 1/ 394.
(4) السَّامرائي، لمسات بيانيّة، محاضرات، ص: 1036، والهلال، تفسير القرآن الثّريّ: 4/ 163، 164.
(5) الرَّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفَّاظ: (جيء).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خفي).
(7) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 287.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرَّاغب، المفردات: (سرر).
(9) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (سرر).

السّعي والعمل:

السَّعي يُستعمل للجدِّ في الأمر[1]، والعمل يُستعمل في الأفعال الصَّالحة والسّيّئة[2]، وكذلك السّعي ولكنَّ أكثرَ استعمالِ السّعي في الأفعال المحمودة[3]، والعمل يعمُّ أفعالَ القلوب والجوارح[4]؛ فيدلّ هذا على أنَّ العملَ أعمُّ منَ السّعي في التّعبير عنِ الأفعال.

السّعيُ عمل جادٌّ ويكون في الخير، والعمل في الخير والشر

(1) الرَّاغب، المفردات: (سعي).
(2) الرَّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفَّاظ: (عمل).
(3) الرَّاغب، المفردات: (سعي).
(4) أبو البقاء الكفويّ، الكلّيّات، ص: 616.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»